ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

البعد الأنثروبولوجي للإسلام في أوروبا
بين أطروحتي: أوليفييه روا وطارق رمضان

The Anthropological Dimension of Islam in Europe
Between my theses: Olivier Roy and Tarek Ramadan

جبار عبد الحق[1]

[1]جامعة وهران01

djebb_abdel_tili@yahoo.fr

عبدوس سيدي محمد[2]*

[2]جامعة وهران 02

abdouss329@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/22 تاريخ القبول: 2021/04/25

ملخص:

نعالج في هذا "المقال البعد الأنثروبولوجي للإسلام في أوروبا" من خلال محورين، فتناولنا في المحور الأول تجليات التوافق بين العلمانية والإسلام عند أوليفيي روا، في حين عرضنا في المحور الثاني إلى كيفية قراءة المصادر الإسلامية في السياق الأوروبي الجديد من منظور طارق رمضان؛ ففككنا هذه الإشكالية باتباعنا منهجا تحليليا ونقديا يقوم على شرح الإسلام في أوروبا وتقييمه عند المؤلفَين، معتمدين على مصادر مختلفة.

الإسلام الدين الثاني في أوروبا، له مشهد اجتماعي وثقافي وسياسي خاصة للذين يبحثون عن هوية أوروبية وإسلامية، ذلك أن أوروبا فضاءً علمانيا وديمقراطيا، بحيث يمكن للمسلم أن يكون مؤمنا ومواطنا في الآن نفسه.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، أوروبا، المعاملات، العلمانية، النموذج.

Abstract:

In this article, we deal with the anthropological dimension of Islam in Europe through two axes. In the first axis we dealt with ways of compatibility between secularism and Islam according to Olivier Roy, while in the second axis we presented

* **المؤلف المرسل**: عبدوس سيدي محمد، **الايميل**:Abdouss329@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

how to read Islamic sources in the new European context from the perspective of Tariq Ramadan. So we dismantled this problem by following an analytical and critical approach based on explaining Islam in Europe and evaluating it among the authors, relying on various sources.

Islam is the second religion in Europe, which has a social, cultural and political scene, especially for those looking for a European and Islamic identity, because Europe is a secular and democratic space, where a Muslim can be a believer and a citizen at the same time.

Keywords: Islam ; Europe; Transactions; Secularism; Model.

مقدمة:

يلوح بأن مصطلح الإسلام الأوروبي غير مستساغ لدى الكثيرين، فهو يحمل في طياته مفارقة وتناقضات عديدة، ذلك أن وجود الإسلام في أوروبا؛ يعتبره الأوروبيون تهديدا لهم، كما أن ليس هناك ما يجمع بين الإسلام وأوروبا، وفي الآن ذاته يرفضه المسلمون لاعتقادهم بأن الإسلام واحدا وليس متعددا، وأيّ سعي إلى إسلام على الذوق الأوروبي سوف يكون مصيره الفشل والخذلان، ناهيك عن الخطر الذي يحدّق بمبادئ الإسلام وثوابته.

ومهما يكن من أمر، يعتقد الكثير من المفكرين والباحثين بأن الإسلام في أوروبا بات ضرورة ملحة يفرضها الواقع الذي يعيشه المسلمون في أوروبا، وهو بمثابة صمام أمان إزاء المشاكل التي يشهدها المسرح الاجتماعي والثقافي والسياسي الجديد. ولمعالجة مفاصل هذا المقال لا بد من التساؤل هل يمكن قيام إسلام أوروبي دون أن يهدد ذلك ثوابت المسلمين الدينية؟ وإلى أي مدى يتسامح المجتمع الغربي مولد الديمقراطية والمنادي بحرية المعتقد مع هؤلاء؟ وكيف نُزاوج بين مجتمع متدين يطالب في الآن ذاته بقيم ليبيرالية ممثلة في الحرية والعدالة والتطور والرفاهية؟

نعالج في هذا المقال البعد الأنثروبولوجي للإسلام في أوروبا من خلال محورين، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة أشارنا فيها إلى أهم نتائج الدراسة، فتناولنا في المحور الأول التوافق بين العلمانية والإسلام عند أوليفيي روا، في حين عرضنا في المحور الثاني إلى كيفية قراءة المصادر الإسلامية في السياق الأوروبي الجديد من منظور

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طارق رمضان؛ ففككنا هذه الإشكالية باتباعنا منهجا تحليليا ونقديا يقوم على شرح الإسلام في أوروبا وتقييمه عند المؤلفَين، معتمدين على مصادر مختلفة.

أولا: أوليفييه روا

تتمحور أطروحة أوليفييه روا (Olivier Roy(1949 حول سؤال جوهري هو :هل يتساوق الإسلام مع العلمانية؟

ولمعالجة هذا السؤال يروم أولفييه روا إلى بيان التنوع العميق للإسلام المعاصر « ليس على أساس المذاهب والمدارات الجغرافية، بل من خلال ممارسة الفاعلين الذين أتوا جديدا أو (استصلحوه)من دون أن يعرفوه دائما» (روا، 2011، صفحة 16)

ونفهم من هذا تحول الدين عند المسلمين من عنصر معرفي إلى عنصر تطبيقي (ممارسة) وعندها يغلب التدين على الدين، وعلى ذلك لم تعد المعرفة عنصرا خلاصا. هنا تغدو التجربة الدينية متفوقة على المعرفة الدينية، كأن نجد مسلمين أصوليّي المعرفة لكنهم ليبيراليو التجربة، ولعل هذا ما وسمه أوليفييه روا بالجهل المقدس. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن جل الفاعلين الإسلامين يجهلون الإسلام كمعتقد وبعد معرفي، ويعتقدون أنهم يعرفونه معرفة موضوعية به.

ويراهن أوليفييه روا على أن المجتمعات الإسلامية صنعت أنماطا من الدّنيوية الخاصة بها مؤكدا على أن الأصولية الإسلامية شاركت في إدراج العصرنة إلى الدول الإسلامية من خلال استتباع سياسات عملية تطبيقية وليس من خلال سجال عقلي وفلسفي لقضايا الديمقراطية والعلمانية، وإمكانات تجسيدها في نسيج الإسلام (روا، 2011، صفحة 22).

ويعتبر أولفييه روا أنه لا شيء في آلية العمل السياسي إسلامي في ذاته، فالديني حسبه يتحدد من خلال السياسي وليس العكس، ذلك أنه ينطلق من مسلمة مفادها: ليس لأي عقيدة دينية من تأثير مباشر في السياسي، والعقيدة لا تتحرك إلا إذا حُددت بإيديولوجيا سياسية، كمثال الحكم أو الثورة في إيران.

وينطلق أوليفييه روا من فرضية أساس هي أن فكرة الأمة، والموقف منها، النظر إليها، والسلوكات الواقعية اتجاهها، هي المعيار الأساس لتصنيف الناشطين الإسلامين الجدد ويقسمهم إلى ثلاثة أصناف (روا، 2011، صفحة 24):

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

-الحركات الإسلاموية المعتدلة التي تسخر الدولة المنتمية إليها فضاءً لأنشطتها السياسية. ترفض هذه الحركات العنف وتمارس أنشطتها بأساليب سياسية كالدعاية، الاعلام، الانتخابات.

ومعنى هذا إن تمفصل السياسي عن الديني يفضي إلى العلمانية ويتماهى معها عن طريق أدلجة المشهد السياسي، منطلقا من مرجعية يتقاسمها الجميع هي الإسلام المعاد صياغته بتخوم إيديولوجيا سياسية.

-الأصولية الجديدة التي ظلت متشبثة بفكرة الأمة الإسلامية والتي ترفع راية الجهاد، رافضة الكيانات السياسية القائمة بحجة بعدها عن الإسلام، وهذه الحركة تشارك في عملية التمازج الثقافي ولكن عن طريق الفرد الإنسان لا الدولة (روا، 2011، صفحة 59).

-الإسلام الأقلياتي ويصدق على المسلمين المهاجرين إلى أوروبا، وهؤلاء أزمعوا الاستيطان في بلدان المهجر، يبتغون إقامة هوية دينية في مجتمعات علمانية وذات أصول مسيحية، ويطالبون بأن يعاملوا كمواطنين، ما يجعل هدفهم صعبا ومركبا؛ والسؤال الذي يطرحه المؤلف هو كيفية صوغ إسلام في إطار فضاء ثقافي يجهله ويتجاهله وإن كان يتساهل معه (روا، 2011، صفحة 84).

يعتقد أوليفييه روا أنه على المستوى النظري الإسلام الأوروبي يفتح باب الاجتهاد عن طريق التأويل للقبض على مقاصد القرآن، بغية إيجاد منافذ دينية للمعضلات التي يواجهها المسلمون عندما يحيون كأقلية في بلد يسلك نظام علماني كمشكلة الحجاب، الاختلاط، الحلال والحرام في الطعام (روا، 2011، صفحة 85)

.

الإسلام الاوروبي لم يعد ينبني على مسلمات فقهية أو مقاربة حقوقية جديدة، وإنما هو عبارة عن براكسيس في سياق خاص، فالمسلم الأوروبي لا يخضع لقانون إسلامي، ولا لضغط رأي عام إسلامي يفرض عليه ممارسات دينية معينة، ليمارس الدين طبقا لقناعته الفردية، فالهجرة أرغمت المسلم على تصور الدين باعتباره خيارا حرا، وعملا إراديا، ينأى عن أي ضغط خارجي (روا، 2011، صفحة 104).

إن أغلبية المسلمين الذين استوطنوا أوروبا بصورة قطعية هم أبناء مهاجرين أو مستوطنين سابقين، انفصلوا عن ثقافة وعادات وتقاليد ولغة مسقط الرأس. وأضحوا يتحدثون لغة بلد المهجر ويتعلمون بها، أما لغة مسقط الرأس فإن تعلموها تصبح لغة ثانية الغرض منها الصلاة وقراءة القرآن، وليس كلغة ثقافة واستخدام يومي .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويُلح جل الوعاظ والأئمة على موضوعات أخلاقية وروحية في أفق التفتح الشخصي وطلب الكمال والكرامة كالصبر، المعاناة، مقاومة الإغواء وذلك أن التخلي عن المحرمات والمحظورات يناسب النّمو الروحي والتدرب الأخلاقي، وليس خضوعا لضغوط قانونية أو اجتماعية (روا، 2011، صفحة 105).

إن الإسلام المعاش في أوروبا يظل يمارس كتجربة شخصية على غرار العودة إلى الذات، تقوم على ممارسة الأخلاق والعبادات الإسلامية، وعلى الامتثال للقوانين الأوروبية وأنظمتها، ولا يتسنى له إن يعاش كشريعة أو نظام حقوقي أو سياسي (روا، 2011، صفحة 109).

تناول أوليفييه روا في ثنايا كتابه الموسوم ب " عولمة الإسلام " موضوع التدين في أوروبا، وانطلق من مسلمة مؤداها أن تغيير تركيبة المجتمعات الغربية يوازيه انتقال الدين الإسلامي إلى الغرب، وهو ما يؤكده الإقبال الواسع في مجتمعاته الكبيرة، بيد أننا نلاحظ حسبه التراجع الثقافي في مقابل التوغل الديني، ولا شك أن الفضاء المعلمن منح للدين انتعاشا كبيرا واستقلالا ذاتيا.

لقد عبدت العلمانية والعولمة الطريق للأديان عبر الانفصال عن الثقافة، واعتبار ذاتها مستقلة، وتعيد بناء نفسها في فضاء لم يعد إقليميا ولا خاضعا للسياسي: «غير أن التطور المعاصر للعولمة يتجاوز ذلك: فهو ينظم ويدفع إلى أقصى مدى جميع مكونات الظاهرة، ولا سيما منها إزالة الصفة الإقليمية. ويُدخل بعدا مستجدا: هو التفريق المستمر بين الأديان، والأقاليم، والمجتمعات، والدول، ما يستتبع قدرا أكبر من الاستقلالية للديني» (روا، 2012، صفحة 51)

ويُجّند أوليفييه روا الأمثلة الواقعية لإحلال المشروعية على أطروحته، فالتفرد في التدين ينجم من اختفاء الوجهة الاجتماعية، وغياب السلطة الشرعية:« مثل الصوم الرمضاني في المجتمعات المسلمة...فإعلان ساعة الافطار بالمدافع وتفهم الصائم وحتى تعديل دوامات العمل وتحويل الإفطار إلى شكل من أشكال النشاط الاجتماعي (كدعوة الأصدقاء، وقيام السياسيين بدعوة الآخرين إليه)، وتوافر أمكنة الصلاة وحتى استعمال المرادفات وعبارات التحية الخاصة بالمناسبة، ...والمأكولات الخاصة...إلخ، كل هذا يوحي بأن هذه الممارسة تلقى الدعم في السياق الاجتماعي...لكن الانتقال إلى الغرب يُزيل الإسلام عن البيئة والبديهية الاجتماعية والمسلمات، تضطر إلى التعبير عن نفسها صراحة فيتحول الإسلام موضوع للتأمل... وليس عيشه كجزء لا يتجزأ من تطبيق عملي ومن ثقافة معينة» (روا، عولمة الإسلام، 2016، صفحة 87)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهذا الشكل من التدين يدعوه أوليفييه روا بالجهل المقدس، لأن ما يقدسه المتدين اليوم في أوروبا ليس دينا حقيقيا، لانفصاله عن الثقافة، وإنما يقدس الجهل بدلا عن الدين. والتدين بلا ثقافة هو إيذان باحتضار الدين.

ما ذكرناه سالفا يفضي حسب أوليفييه روا إلى تواجد إسلام أوروبي يرتكز على التفرد في الاعتقاد الديني والممارسة الدينية، ويتأتى من مواءمة طبيعية لأقلية مسلمة، مع مجتمع أوروبي غير مسلم، ينهض على مرجعية وقوانين علمانية، وهذا بدوره يولد من الناحية العملية علمانية لدى هذه الأقلية لا تقوم على تمفصل الدين عن الدولة أو السياسة فحسب، وإنما في إقامة الدين على حرية فردية يخضع لقناعات وممارسات هذا الفرد أو ذاك، بعيدا عن أية معايير قانونية أو اجتماعية.

ثانيا: طارق رمضان

تتمحور أطروحة طارق رمضان في ما يأتي: أن هناك خوفا متبادلا بين الطرفين(الأوروبي والإسلامي)، بالنسبة للأوروبيين يتساءلون حول مآل هذا الرسوخ الطويل للإسلام في أوروبا، والخشية من أسلمة أوروبا، أما بالنسبة للمسلمين فخوفهم الأساس يتمثل في احتمال خسارة دينهم وثقافتهم وهويتهم المتميزة، خوف يستولي عليهم من أن يستعمروا ثقافيا أو يهضموا بالكلية. ويعتبر رمضان بأن هذه هي الحقائق الجوهرية للإسلام الأوروبي في يومنا هذا، بيد أنه عند معالجتنا لها ينبغي تسليط الضوء على العناصر الآتية لأهميتها لأي نقاش حول الإسلام الأوروبي :

-الإسلام دين أنزله الله تعالى إلى العالمين ليكون أسلوب حياة وليس مجرد سمة ثقافية، وتغييب هذا البعد عن النقاش سيجعل كل الجوانب الأخرى للإسلام في أوروبا بدون نجاعة وقيمة.

-التركيز في تحليل الإسلام والمسلمين في أوروبا على نظرة المسلمين لأنفسهم، وفهمهم للإسلام، وليس على نظرة الأوروبيين لهم (رمضان، 2016، صفحة 334).

1 الإسلام الأوروبي: دين أم ثقافة

من وجهة نظر طارق رمضان أن شريحة كبيرة من المسلمين، من بينهم علماء ومؤمنين بسطاء يعارضون فكرة الإسلام الأوروبي مختلف عن الإسلام الموحد الأصل، معتقدين بأن هذه التسمية محاولة لتفتيت الإسلام ومسخه، وسعي خطير لإصلاحه.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن جهة أخرى تؤكد الدراسات السوسيوأنثروبولوجية بأن ليس هناك إسلاما واحدا، إذ هناك عدة أشكال للإسلام تختلف باختلاف التأويلات أو المجتمعات، ومن الضروري التعامل مع هذا التنوع بطريقة دقيقة وجادة.

ويحاول طارق رمضان تهذيب هاتين المقاربتين المناقضتين مقرا بأن الإسلام دين عالمي واحد ومتنوع في الآن ذاته (Ramadan tariq, 2011, p. 75) على مستوى العقيدة التي تعتبر جوهر الإيمان، وعلى مستوى تطبيقها في العبادات الإسلام واحد يُوحد جميع الفرق سنة وشيعة تحت قاعدة الوحي القرآني والسنة النبوية اللذان يحددان المبادئ العامة للدين الإسلامي في الشرق والغرب، الشمال والجنوب بصيغة واضحة وصريحة، وهذه المبادئ هي التي تغدي مجتمع الإيمان أو ما يسمى بالأمة (Ramadan tariq, 2011, p. 76).

فالإسلام دين متنوع من زاويتين: الأولى توجد من خلال القراءات والتأويلات التي تفسر اختلاف التقاليد والميول وتشعب المدارس الفقهية مثلما نألف ذلك بين السنة والشيعة سواء كانوا علماء أو مسلمين عاديين. أما الثانية تتمظهر من خلال طبيعة الثقافات والعرف والعادات؛ فمسلمو إفريقيا أو آسيا لطالما احتفظوا بالكثير من أنماط حياتهم وعاداتهم ولكن الجميع عليه احترام ومراعاة العقيدة، لأن المبادئ والعبادات يتعين على كل المسلمين بمختلف ثقافتهم وبلدانهم أو انتماءاتهم السياسية أن يلتزموا بها لأنها مبادئ ثابتة وعامة، وأي مسلم يسعه فعل ما يشاء مادام لا يخالف ركنا منصوصٌ عليه شرعا، ولكي يقلع المسلم عن فعل شيء، يلزم وجود نص صريح وصحيح ينص على عدم جواز هذا الفعل. (Ramadan tariq, 2011, p. 77)

وطبيعة الإسلام الأوروبي لا يخرج عن هذا السياق، فالإسلام الأوروبي إذا راعى واحترم المبادئ العامة للعقيدة والعبادات، وتولى في الوقت نفسه ثقافته الغربية بتنوعها واختلافها لا يطرح ذلك أية مشكلة، فالأوروبيون المسلمون يكون إسلامهم تاما بالنسبة إلى مبادئ الدين، ويكونون في الوقت نفسه أوروبيون بالتمام نسبة إلى ثقافتهم الأوروبية والغربية.

لا يتعلق الأمر بالنسبة لطارق رمضان إلى خلق إسلام جديد، ولكن يعود الأمر إلى تصالح الإسلام مع ديناميكيته وإبداعاته وإيمانه الأصيل، ويتحتم على المسلمين أن يربطوا كل شيء صالح في المجتمعات الأوروبية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بمعتقدهم من منطق الإخلاص لله، وفي الوقت نفسه النظر إلى الأشياء الطالحة بأنها سلوكات قابلة للنقاش وللنقد، من منطلق أن كل الثقافات، عربية، آسيوية، غربية تقتضي فكرا نقديا، ونقدا ذاتيا مستمرا من أجل تطوير العادات والأعراف في ضوء المبادئ الدينية، لأن ما هو معروف أن المبادئ تتآكل وتتلاشى إذا طغت عليها العادات والأعراف.(Ramadan tariq, 2011, p. 78)

ويتعين على مسلمي الغرب أو أوروبا للوصول إلى هذا الهدف، حسب طارق رمضان القيام بعمل مزدوج وذلك بتفكيك وإعادة بناء من خلال التركيز على التمييز بين ما هو ديني وما هو ثقافي، واستبعاد تلك النظرة التي تصور الإسلام كأنه وافد من الباكستان أو الترك أو العرب وبالمرة ليس هناك دينٌ بدون ثقافة، وليس هناك ثقافةٌ لا تقوم على الدين، ولكن الدين ليس الثقافة، وعملية التمييز بينهما ليست بالأمر السهل والهين، ذلك إن الاغتراب هو الذي يجعل التمايز ضروري وفي الآن ذاته صعب وسهل.

ومن ناحية أخرى ينكفئ المسلمون المهاجرون على دينهم وثقافتهم ومجتمعاتهم بغية تحصين هويتهم من خطر الضياع في البيئة الأجنبية، ويقاومون هذا الخطر المحتمل بواسطة نمط حياتهم الذي عرفوه في بلدانهم الأصلية، فيخلطون دائما بين الدين والثقافة والعادات. (Ramadan tariq, 2011, p. 79)

أما من ناحية ثانية، فالجيل الثاني والأجيال اللاحقة، لا يمكن أن يكونوا راضين عن هذا الموقف، كونهم أكثر تعلما، فيتساءلون عن ملامح ثقافة البلد الأصل، كما أنهم يُمتصون بصفة طبيعية من طرف لغة وثقافة البلد الذي يحيون فيه (بلد المهجر)، وهذه المرحلة الانتقالية تُشكل أزمة طبيعية بين الأجيال، ولكن أيضا مع المجتمع المحيط بهم يقطعون مع العادات الثقافية السلبية لوالديهم وينظرون إليها على أنها مشكلة وليست إسلامية دوما. ويقبلون القيم الإيجابية للثقافة الغربية، بشرط أن تبقى كل هذه العادات الثقافية (غربية، وغير غربية) منسجمة مع مبادئ الإسلام (Ramadan tariq, 2011, p. 80)

2 الإسلام والعلمانية

في خضم العلمانية التي تتربع على عرش الحضارة الغربية، يجب تحليل الإسلام والمسلمين في أوروبا انطلاقا من التركيز على نظرة المسلمين لأنفسهم، وفهمهم للإسلام، وليس على نظرة الأوروبيين لهم، وتصنيفهم للمسلمين، ويعتقد طارق رمضان بأن هذا الفكر يكاد يكون غائبا اليوم على مسرح الإسلام في أوروبا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن أجل إصلاح هذا النقص، وسد هذه الفجوة، ينطلق طارق رمضان من مسلمة مؤداها أن المسلمين اليوم لا يعرفون تاريخهم، ولا يدركون إلا القليل منه عن مرجعياتهم، ويقعون في الهامش عند إدارة النقاش، والذي يناقش على الهامش لن يكسب أبدا النقاش.

ومعنى هذا إن المسلمين لا يقفون على أرض صلبة في حديثهم مع الآخرين، لعدم وعيهم بمبادئهم، مما يفضي إلى عدم فهمهم لأنفسهم، ووعيهم للبيئة التي يتموقعون فيها، وهذا بدوره يولد لديهم خوفا من الآخر ومن المجتمع الذي يتواجدون فيه.

ومن الجلي أن المسلمين اليوم لا يميزون في حديثهم وفهمهم وفتواهم بين المنهج المستخدم في العبادات والمنهج المستعمل في المعاملات، فيصطبغ منهج مبادئ المعاملات بمنهج مبادئ العبادات، وهنا يقع الالتباس والفوضى والخلط، وبالتالي سوف ينعكس هذا الأمر سلبا على واقع وحياة المسلمين (Ramadan, 2015, p. 93).

وعندما نوجه الحديث إلى العبادات، فعلى المسلم الالتزام بالنص، فإن رغب أحدهم في الصلاة على سبيل المثال، فعليه اتباع نص يصف كيفية الصلاة، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (البخاري، 6857)، وفي هذا المقام يكف المرء عن استخدام فهمه واجتهاده. (Ramadan, 2015, p. 93)

أما في مجال المعاملات فالوضع كله مختلف ومفارق، والمبدأ الأول الذي ينطلق منه المسلم مؤداه أن الأصل في الأشياء الإباحة، فالمسلم يفعل ما يشاء مادام لا يتعارض هذا الفعل مع نص يحظره . (Ramadan, 2015, p. 93)

ففي مجال العبادات ينبغي توفر شرط يبيح فعل الشيء، أما في مجال المعاملات لزم وجود شرط يُحرمه، وإذا انعدم هذا الشرط فهو مباح وجائز .

معنى هذا أنه بإمكان المسلمين في أي زمان ومكان الأخذ من كل الثقافات عامة، والثقافة الأوروبية خاصة والنهل منها، ما لم تتعارض مع أصل أو نص في الكتاب والسنة. والتاريخ الإسلامي يشهد على أن المسلمينَ أخذوا من سائر الثقافات كل شيء إيجابي وصالح لا يتعارض مع مبادئهم الدينية، فالجاحظ في مؤلفه البيان

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والتبيين عرض أدب العرب وأدب الفرس، وحكم الهند ونصائح اليهودية والمسيحية، لأنه رأى أنها لا تخالف المبادئ الإسلامية .

إذن المصادر التي يرجع إليها المسلم واحدة، بيد أن هناكَ منهجيتين، منهجية العبادات، ومنهجية المعاملات، ولا يلزم أن تسري الأولى على الثانية، ذلك أن فقه المعاملات فيه إبداع واجتهاد وفكر وينفتح على كل مجالات الحياة، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، فنية، وليس الفكر الإسلامي فكرا لاهوتيا، إنه فكر ينم عن قانون إسلامي يجسده المسلمون لا يفتأ يعزز علاقة الإخلاص لله وأوامره. وداخل حقل هذا القانون(الشريعة) لا يهدف الفقيه أو المجتهد إلى معرفة الحدود، الحلال والحرام فحسب، بل يفسح المجال للعقلنة والاجتهاد للفصل بين ما يسمى الدوغمائية والعقلانية . (Ramadan, 2015, p. 94)

ويميز طارق رمضان بين لائكية sécularisation وعلمانية .laïcité الأولى تعني صيرورة تاريخية تفصل بين الديني والسياسي. ولها ثلاثة مستويات : أ- من الناحية المؤسساتية، فصل الكنيسة عن الدولة ب- من الناحية الفلسفية، تمييز الدوغمائية عن العقلانية ج- من الناحية اللاهوتية، الاختلاف بين الدين والمجتمع. بيد إن الكثير من يعتقد أنها الفصل المباشر بين الدين والسياسة.

والجدير بالذكر أن التاريخ الإسلامي حسب طارق رمضان وُجد فيه النوع الثاني من اللائكية، حيث ميز الكثير من المفكرين بين العقلاني والدوغمائي، فالدوغمائية هي التي تفرض الفكرة بدون مناقشتها واختبارها وهذه هي سمات العقلانية. ويضيف رمضان أنه لو أخبرنا شخص يدرك جيدا تاريخ الغرب سوف يندهش من الحداثة الإسلامية وقتئذ. ويستشهد رمضان بالشافعي وتلميذه ابن حنبل في القرن الثامن، عندما اختلفا ولم يتفقا، حيث قال الأول للثاني: أنت تقول هذا، وأنا أقول هكذا. ونحن اليوم لا نتناقش، وإن لم أتفق معك سوف تسمني بالكفر، والعلمانية هي إضفاء الطابع المؤسساتي لهذه الصيرورة التاريخية.

فالشريعة ليست قانونَ عقوبات يطبقه المسلمون، بل هي الطريق إلى المصدر، وذلك من خلال إعادة قراءة المصادر الإسلامية في السياق الأوروبي الجديد، وهذا هو التجديد والوعي الإسلامي المطلوب، ولا يتأتى ذلك بتغيير النصوص، وإنما معاودة القراءة بمنظور جديد، وبناء رؤية جديدة تتناسب مع أي نسق جديد، شرط عدم التناقض مع المصادر. (Ramadan, 2015, p. 86)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويقترح طارق رمضان علينا أربعة مصادر أساس يمكن استخلاصها من التاريخ الإسلامي، وهي حسبه مبادئ خالدة:

أ- دولة الحق المتجسدة في دولة المدينة، نستخلص منها القوانين التي تنظم علاقاتنا.

ب- المساواة في المواطنة، وينبغي للمسلمين الاشتغال بجدية حول مفهوم أهل الذمة، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا

ت- نظام الانتخاب أو المبايعة، وهذا البعد معروف في الإسلام.

ث- مبدأ التناوب على السلطة، وهناك نصوص تُؤكد هذا المبدأ، وعلى الخصوص قول أبي بكر:" أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني"، وهذا يعني إذا لم أكن كُفْؤًا، يجب أن أُستبدل بخليفة آخر. (Ramadan, 2015, p. 98)

ونفهم من هذا أن لدينا مبادئ ومرجعيات، ومن خلالها يتعين علينا اقتراح النماذج التي تتوافق مع المجتمع الذي نحيا فيه. فنتناقش حول المبادئ، ولا يفرض أحد نموذجا بعينه، ونترك المجتمعات تختار النموذج الذي يلائمها. إن نموذج فرنسا لا يصلح لأمريكا وبريطانيا، والعكس صحيح.

ما يقلق طارق رمضان أن العالم الإسلامي يلعب دوما دور الضحية، ويفكر بأن ما آل إليه من انكسار وتخلف هو خطأ الغرب، وعلى حد تعبيره ما نحن عليه نستحقه ونحن مسؤولون عليه أمام التاريخ .

لهذا يتعين على المسلمين قاطبة أن يتخلوا عن أنانية الاستهلاك، ويُسهموا بوعي أخلاقي وروحي ومادي سعيا وراء تطوير مبادئهم العالمية أينما كانوا، وليكونوا شهداء على الناس كما جاء في القرآن الكريم، وذلك بالخروج من قوقعة القيتوهات ghettos وضرب عرض الحائط ما يُلفقه الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين، وعدم الخلط بين المبادئ والنماذج، بالحفاظ على المبادئ والبحث عن النماذج المناسب (Ramadan, 2015, p. 101) .

أما في مجال علاقة الدين بالسياسة، فهناك اعتقاد سائد مؤداه أن هناك تماهي بين الدين والسياسة في الإسلام، بيد أنه حسب طارق رمضان هذا مجانب للحقيقة والصواب، وحجته في ذلك أن علماء الفقه في القرون الأولى من الإسلام أنشأوا فوارق واضحة بين المصطلحين (Tariq, 2015, p. 446) . فكانوا في ميدان العبادات يرجعون إلى القرآن والسنة، أما في ميدان الحياة الاجتماعية لم يتقيدوا بالمصدرين الأساسين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

القرآن والسنة، واستخلصوا حلولا وأفكارا انطلاقا من عقلانيتهم وذكائهم الإنساني على ضوء المبادئ العامة للدين. ونجد كل الكتابات الفقهية الأولى في القوانين والفقه تُميز بين باب العبادات والمعاملات لأن ماهيتهما ومنهجهما مختلفان. وهذا ما هو غائب ومستبعد اليوم عند الفقهاء والقضاة والمستشارين القانونيين، حيث لم يصلوا بتفكيرهم حتى عتبة التمييز بين المصطلحين في التسيير السياسي الراهن (Tariq, 2015, p. 447) .

إذن الإسلام أقر تمييزا واضحا بين مجال عقيدة دوغمائية تفرض الرأي والعقلانية المفاوضة، بين الدين والسياسة، كما هو محدد اليوم كمرجعية للعالم الغربي.

3 الاندماج

اقترح طارق رمضان تصورات جديدة تُمكن المسلمين في أوروبا والغرب على الاندماج الايجابي في البلدان التي يقيمون فيها، وينطلق من مسلمة مفادها أن مصطلح الشريعة مفهوم وثيق الصلة بقضية اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية، والشريعة ليست مجرد قانون عقوبات وحدود يسعى المسلمون إلى تجسيده في الواقع، ولكنه تصور عالمي لحيثيات دوام الإخلاص لله، تُساعد المسلمين في استخلاص معنى عالمي يُغيّر رؤية المسلمين للغرب.

لا شك أن هناك مستويات متنوعة للاندماج، كالاندماج السياسي والاجتماعي، وهذين النوعين موجودين في أوروبا. والشكل الذي يعنينا هو الاندماج الديني والفلسفي (رمضان، 2016، صفحة 339) ، فالمسلمون إن استوعبوا مصطلح الشريعة على أنها نظرة عالمية بربط كل شيء صالح في أوروبا بعقيدتهم في دوام الإخلاص لله، واعتبار هذا الجانب عنصرا لا ينفصل من شرعتهم يُسارعون في الاندماج، ولا ينتظرونه من الآخرين، وعلى سبيل المثال إذا اطَّلع مسلم ما على الدساتير الأوروبية ووجد بنودا كثيرة تتفق مع منظوره للعدل، فلا يكفي أن يحترمها لأنها فقط عنصر من دستور وقع معه عقدا أخلاقيا يضمن له المواطنة الأوروبية، «فالأمر يتجاوز ذلك: إنني أُكن لها توقيرا لأنها تلبي حاجة ماسة لوعيي الديني، وبذلك تستحيل جزءا من قيمي المحببة، فعلى هذا المنوال أندمج اجتماعيا (رمضان، 2016، صفحة 340)»

أما الاندماج الديني والفلسفي ينبني على أن العديد من القيم الأوروبية، التي تنتمي إلى نسيج الإسلام أو تتوافق معه، فمبادئ العدل والمساواة مبادئ إسلامية محضة، وأيضا القيم المثلى التي نجدها عند الأوروبيين،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يقول طارق رمضان: «وهنا يسأل المسلمون:" كيف تقول إن ما لدينا حتى الآن كالخلفية الثقافية والقانونية في أوروبا، إسلامي بالفعل؟" أقول لهم: نعم، فكل شيء أوروبي من هذا القبيل ينتمي إلى المسلمين، وهذه ليست حقيقة جديدة كل الجدة (رمضان، 2016، صفحة 340)»

ونفهم من هذا أن القيم الصالحة والمثلى المبثوثة في ثنايا الحضارة الغربية، قيم عالمية تتقاطع مع القيم الإسلامية العالمية ولا تناقضها، وهي تساعد المسلمين في أوروبا على تنمية ثقافة أوروبية إسلامية، وبإمكانها إن تتطور وتفضي إلى بناء هوية مشتركة بين الطرفين.

ثالثا: تحليل النتائج

بالنسبة لأليفيي روا: إن أول ملاحظة تستوقفنا في أطروحة أوليفييه روا هي السؤال الاستشكالي الذي تصدر بحثه وهو: هل يتوافق الإسلام مع العلمانية؟، ما معنى هذا السؤال في العمق؟ أو ما الشيء المضمر الذي يتوارى داخل السؤال؟

نفهم من هذا الطرح وكأن العلمانية هي أروع وأجمل نظام تمخض عن الحضارة الغربية، أي إن العلمانية تتصدر قمة الجبل والإسلام يتواجد في أسفل هذا الجبل، وإذا أراد الإسلام الصعود إلى هذه القمة يتعين عليه التوافق والانسجام مع العلمانية، وذلك بالتخلي والتنازل عن العديد من مبادئه التي تتناقض وتتعارض مع العلمانية.

أما تأكيده إن لا شيء في العمل السياسي إسلامي في ذاته، وأن السياسي هو الذي يحدد الديني، مما يعني بأن الإسلام يتوافق مع القيم العلمانية والليبرالية، أعتقد أنه يُجانب الصواب، لأن أطروحة المؤلف عصية عن التعميم، ذلك إن أوليفييه روا تتبع نشاط بعض الحركات الأصولية الإسلامية والأحزاب السياسية، وجعل منها مصداقا لأطروحته، وكان حرّيٌ به أن يُحدد ويُدقق في أحكامه، كأن يقول إن الحركات الإسلامية السياسية التي استدل بها على أطروحته تتساوق وتتلاءم بأسلوبها ومنهجها مع قيم ومبادئ العلمانية، وليس الإسلام قاطبة، مما يدل على أن المؤلف لا يميز بين نشاط المسلمين وسلوكياتهم في الواقع ونظام الإسلام بمبادئه الخالدة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما انتهاج الحركات الأصولية والأحزاب السياسية أسلوب ومبادئ العلمانية له ما يُبرره، حتى وإن لم تكن مُخلصة لمبادئ الإسلام. فنمط التعامل الأوروبي حيال المسلمين، من تمييز وتحيز وتصاعد في موجة الكراهة كلها عوامل تفرض عليهم استخدام المرونة والانسجام مع قيم العلمانية للظفر بحقوقهم المهضومة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية الواقع المرير دفع بنخبة من المفكرين والمثقفين المسلمين في أوروبا، أمثال الدكتور مالك شبل وطارق رمضان ويوسف صديق إلى التفكير في طرح فكر تجديدي للدين يُيسر على المسلمين الأوروبيين التأقلم مع وضعهم.

كما ورد في أطروحة أوليفييه روا أن العولمة أنعشت الدين وطهرته من رواسبه الثقافية والعلمانية حددت له مكانه المناسب بعدما كان مائعا في كل المجالات.

وفي نظري أعتقد أن هذه الأطروحة يكتنفها جانب من الصواب، لكنها تُستعصى على التعميم، أما جانب الصواب الذي يبرر صلاحيتها فيتمظهر في السبعين سنة الأخيرة المنصرمة، وقتئذ اشتدت شوكة العولمة، وبدأت تتوغل في كل أنحاء العالم، وانبهر الناس بمنجزاتها، واستوطن الكثير أراضيها، وأكثر الذين استوطنوا أوروبا المسلمين لأسباب متنوعة، وأصبحوا جزءًا من النسيج الاجتماعي لأوروبا، وغدا الإسلام أكثر حضورا. ونجم عن هذا الأمر شعور الأوروبيون بالقلق، خاصة أمام إصرار الكثير من المسلمين على ممارسة واجباتهم الدينية: مثل الصلاة والصوم ولباس الحجاب.

وبعد مرور الوقت ظهر الجيل الثاني والثالث للمسلمين، ونتيجة لميلادهم في أوروبا ونشأتهم في خضم ثقافتها، بدأت تظهر ثقافتهم الأصلية وكأنها غريبة عنهم، مثل جهلهم بلغتهم الأصلية، وعاداتهم الاجتماعية فاستطاع الكثير منهم الاندماج في البلد المضيف اندماجا تاما، وحل شتات إسلامي في أوروبا، ومن هذا المنطلق تولد تدين متفرد، فرضته العولمة يسعى إلى تنمية الذات؛ أضف إلى ذلك تفاقم الأمية الدينية والفقهية والعقائدية التي تغلغلت في الأسر المسلمة الأوروبية، التي من مظاهرها ترك الصلاة والصوم، وارتياد أماكن الرقص ومعاقرة الخمرة.

ولكن بالمقابل، ما زال البعض الآخر مخلصا لجذوره الثقافية القديمة، وثمة أسر كثيرة متدينة وملتزمة بالمبادئ الإسلامية، حيث يسعى الوالدان إلى متابعة أبناءهم في مدارسهم، والحرص على تعليمهم الواجبات الإسلامية، مثل الصلاة والصيام، والامتناع عن تناول لحم الخنزير، وشرب الخمرة وأفرادها يترددون على

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المساجد، ولم يعد المسلمون يجدون صعوبة في أداء مناسكهم، بإقامة مساجد عبر الأراضي الأوروبية، تُؤدى فيها الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة التراويح في شهر رمضان.

ومما لا شك فيه أن للمساجد دور كبير وبالخصوص في أوروبا، باعتبارها ملاذ ثقافي واجتماعي بالنسبة للمسلمين، فهي تُخرج الفرد من العزلة إلى الهُمْ، وتقضي على التفرد والانزواء على الذات، وروح المسجد ورسالته التربوية والأخلاقية والتوجيهية، تصنع رجالا كانوا دوما على مستوى المسؤولية.

وتُؤكد معلومات ميدانية أن الأسر المسلمة المتدينة، تمكنت من الحفاظ على أبناءها، والتزام الأبناء بالواجبات الدينية ساعدهم على التفوق المدرسي، وتجنب كل أنواع الرذائل التي يعوم فيها أبناء الأسر الغربية غير المسلمة.

أما ما وسمه بالجهل المقدس، وذلك عندما ينبني الدين خارج الثقافة فهو لا يقبل التعميم أيضا لعدم تخلي المسلمين في الغرب عن ثقافتهم الأم وبالخصوص الجيلين الأول والثاني من المسلمين يقول جيفري لانج(Jeffrey Lang): « التقيت الكثير بمن اعتنقوا الإسلام، ألفوا ثقافة المسجد ومتمسكين بمواقفه، وعاداته وسلوكه الاجتماعي، ويدافعون عنها بحماس بوصفها تجسيدا للإسلام الحقيقي. ولكنهم ليسوا أكثرية. ويرتد عن الإسلام نصف الذين يعتنقونه من الأمريكيين على الأقل، والنصف الثاني يظل بعيدا عن الجالية الإسلامية... كثير من معتنقي الإسلام يعبرون عن هلعهم من التعصب العرقي والتحزب القومي الذي يشعرون أنه يوهن المجتمع الإسلامي ويضعفه»(جيفري، 2008، صفحة 247)

ونفهم من هذا أن مزج الدين بالثقافة أمر مروع ويضر بالإسلام ضررا كبيرا، خاصة في المجتمع الغربي بما فيه أمريكا، فالحقيقة أن هذه المجتمعات الحديثة تُؤمن بفكرة الحرية ولا تُغامر في قبول شيء والاقتناع به إلا إذا غدا واضحا ومعقولا وزال عنه الريب، فهم يُؤمنون بعقولهم قبل أن تُؤمن قلوبهم، ويجتهدون في البحث عن إجابات شافية وكافية عن تطلعاتهم الإيمانية، بيد أن أسلوب الجالية الإسلامية القائمة على شؤون المساجد والمراكز الإسلامية بضيق أفقها وتعاملها الدوغمائي تطعن الإسلام لا شعوريا وتتوهم أنها جند من جنوده.

كما نفهم أيضا أن العديد من معتنقي الإسلام الجدد لا يسافرون إلى منطقة الشك ويعيشون أزمة هوية، ذلك أنهم يتلقفون الإسلام على يد المهاجرين المسلمين بدون تفكير أو نقاش ويُقبلون في ثقافة المسجد ويمارسون نفس أسلوب القائمين على المراكز الإسلامية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهذه الممارسات تُساهم في القضاء على الإسلام من الداخل قبل أن يُهاجم من الخارج، فهي تُسممه عندما تفرض عادات دينية مشبوهة، وبدلا أن تستجذب الناس إلى الإسلام ويغدو طريقا إلى النماء الروحي والحياتي؛ تعمل على إخراج الناس منه أفواجا وأفرادا.

بالنسبة لطارق رمضان: يعتبر الدكتور محمد طيبي أن جهود طارق رمضان تمثل علامة بارزة في معالم الإسلام الأوروبي، لكنها إن لم تُحدث تغييرا نوعيا يدفع بالأنتلجنسيا المسلمة إلى التنظيم الاستراتيجي الحقيقي الذي يخترق المؤسسات، فستغدو مجرّد خطابات تسعى لتيسير الطريق نحو الموت. (الطيبي، 2010، صفحة 66) من جانبنا نثمن أطروحة طارق رمضان حول الفصل بين العبادات والمعاملات، ذلك أن الخلط بين فقه العبادات وفقه المعاملات يُفضي إلى عرقلة الإصلاح ويختزل الإخلاص لرسالة السلف والإسلام في قراءة جامدة للنصوص، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يُعد الإصلاح نتيجة جوهرية للفكر الإسلامي المعاصر والراهن، ويساهم أيضا في قراءة النصوص وفهمها وتطبيقها وفقا لروح العصر والسياق التاريخي الجديد؛ ورؤية طارق رمضان تعزز الحوار بين المسلمين وغير المسلمين وتُؤسس لإتيقا التواصل في الفضاء العمومي للمجتمع الغربي.

كما نعتقد أن أطروحة طارق رمضان من الناحية النظرية غاية في الإبداع والتجديد، إلا أنها تصطدم بالواقع ومجال تطبيقها، فمثلا عندما يؤكد أن الإسلام الأوروبي إذا راعى واحترم المبادئ العامة للعقيدة والعبادات، وتولى في الوقت نفسه ثقافته الغربية بتنوعها واختلافها لا يطرح ذلك أية مشكلة، فهذا كلام جميل وطيب، لكنه لم يُوضح لنا الكيفية التي نجسد بها هذا المقترح ميدانيا، كما أنه لم يقترح لنا حلولا ناجعة من خلالها يتعامل المسلمون مع المضايقات التي يواجهونها في أوروبا مثل، اللباس، الأعياد، الزواج المثلي...إلخ

لا نوافق طارق رمضان في تصريحه أثناء المناظرة التي أجراها مع نيكولا ساركوزيNicolas Sarkozy (1955) عام 2003 في قضية العقوبات البدنية وتأييده وقف تطبيقها كخطوة نحو إلغائها، من ناحية أولى كونها مبادئ دينية ثابتة، ومن ناحية ثانية لم يذكر لنا المبررات والمسوغات التي تُجيز إلغاءها.

ويعيب المفكر عبد القادر عوده على المسلمين الليبيراليين الذين استوطنوا الغرب وتأثروا بقوانينه حتى لاح لهم أن بعض أحكام الشريعة لا تواتي العصر الحاضر، وليس لها ما يعضدها في القوانين الوضعية، يقول: « وبعض المثقفين ثقافة أوربية يرون أن الشريعة تصلح للعصر الحاضر، إلا أن بعض أحكامها جاء مؤقتا، وهم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يقصدون بعض الأحكام الجنائية، وبصفة خاصة العقوبات التي لا مثيل لها في القوانين الوضعية، كالرجم والقطع وتسألهم الحجة على ادعائهم، فلا تجد لهم حجة، وإنما هو الظن الذي لا يغني من الحق شيئا» (العودة، 1985، صفحة 56)

كما يرى الشهيد عبد القادر عوده أن هناك دواعي حملت هؤلاء إلى هذا الادعاء « يرون أن بعض عقوبات الشريعة، وهي القطع والرجم لا يمكن تطبيقها اليوم. لضعف الدول الإسلامية، ووجود عدد من الأجانب في بلادها لا يقبلون أن تطبق عليهم هذه العقوبات، أو ترضى دولهم بأن تطبق عليهم. فأصحاب هذا الرأي لا يرون تطبيق الشريعة؟ خشية إغضاب الدول الأجنبية» (العودة، 1985، صفحة 57)

ولذا نتساءل هل الإصلاح الجذريla Réforme Radicale الذي ينادي به طارق رمضان بإمكانه أن يرسم إحداثيات التفاعل الإيجابي بين الإسلام والغرب؟ أم إن الفجوة بين الطرفين عميقة إلى حد أن الإصلاح الجذري الذي يدعو إليه طارق رمضان يعجز عن رأبها؟

هب أننا قمنا بإصلاح جذري للإسلام، و ألغينا العقوبات البدنية من رجم وإعدام وقطع يد السارق ونسفنا نظام تعدد الزوجات وأعلنّا المساواة بين المرأة والرجل في الإرث وغيرها من القضايا، هل ستتحسن علاقاتنا مع الغرب؟ هل سيُحبّنا الغرب ويمحي أحقاده المتجذرة في ذاكرته حيالنا؟ هل سندوّن تاريخا جديدا مع بعضنا بعض؟ أم سينتهي التاريخ إلى الأبد؟

وبيّن لنا طارق رمضان أن الغربَ سوف يندهش من الحداثة الإسلامية، كونها كانت السباقة في إبداع النوع الثاني من اللائكية وهو تمييز الدوغمائية عن العقلانية، ويستشهد رمضان بالشافعي وتلميذه ابن حنبل حيث أنهما أسسا لإيتيقا المناقشة والحوار في القرن الثامن الميلادي، وذلك عندما اختلفا ولم يتفقا حول مشكلة راودتهما وقتئذ ووجدا لها حلين مختلفين .

نعتقد بأن هذا الحدث موجود في تصور طارق رمضان فقط، ولم يشر إليه أحد من قبل، كما أن هذا السلوك الذي أشار إليه طارق رمضان ينتمي إلى فقه الاختلاف في الاجتهاد وليس إلى الضرب الثاني من ضروب اللائكية .

فنجد في تاريخنا الإسلامي ما يصطدم مع تصور طارق رمضان، وبالضبط عندما تعرض الإمام ابن حنبل في محنة القول بخلق القرآن للتعذيب والتنكيل، نهاية القرن الثامن الميلادي، وكانت المعتزلة وراء هذه المحنة،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولاقت الدعم من الدولة بكافة أجهزتها ورجالها وقوتها، ولم ينته الأمر عند التبني والاعتناق، بل امتد إلى إجبار الناس على تبني ذلك بالقوة. والمعتزلة هي حاملة لواء الحداثة ورمز للعقلانية والانفتاح في فكرنا الإسلامي كما يعتقد البعض.

كما نعتقد أن هذا الحدث (النوع الثاني من اللائكية)لا يهم اليوم المسلم الأوروبي، فالمهم بالنسبة إليه هو إيجاد حلول ناجعة إزاء مجتمع يرفضه ولا يستسيغه .

وعلى صعيد آخر هناك من يرى أن الإسلام الأوروبي لا يعدو أن يكون حلما لامعنى له، ومجرد مشروع لا محل له من الواقعية، يقول الدكتور بومدين بوزيد: « رؤية من يرى استحالة ذلك كلية، على اعتبار أن الإسلام يطرح نفسه كبديل للأديان لا يعترف بالآخرين من غير ديانته إلا كذميين، أي كمواطنين من الدرجة الثانية، وبالتالي فإن المسلمين في أوروبا سيزدادون تطرفا وعدوانية ضد الشعوب المستقبلة لهم، ومن ثم قد يكون حلمهم بإرجاع الأندلس الضائعة. كما أن فكرة الجهاد التي يتبنونها تقف وراء تشدّد الجماعات التي نشطت أكثر في أوروبا، كرد فعل ضد التمييز والغيتو" أحياء الضواحي"» (بوزيد، 2010، صفحة 117)

والإسلام في أوروبا ليس حلما بل يمكن تجسيده؛ إذا سلك المجتمع الأوروبي سجالا موضوعيا حول المشاكل التي يحياها المسلمون وبلدانه، بغية البحث عن حلول ترضي كلا الطرفين من أجل تعايش ممكن واندماج جيّد.

وإن جل المسلمين المستوطنين أوروبا يتوجسون ويقلقون على حقوقهم، والإسلام السياسي يبذل قصارى جهده لبلوغها، والمجتمعات الأوروبية عليها مطارحة هذه الحقوق بعقلانية ومعرفة معمقة بالإسلام، والأخذ بعين الاعتبار التباينات الثقافية للطرفين، وتسخير كل الطاقات ليصبح المسلمون مواطنون مقبولون، وذلك بفك العزلة عنهم، ومعرفة نقائص الاندماج، والعدول عن كل أشكال التهميش والجور والكراهة والاحتقار، عن طريق تجويد مستواهم التعليمي وفرص العمل.

ويتعين على المجتمع الأوروبي أن يُدرك بأن المسلمين أصبحوا ضرورة ملحة في نسيج مجتمعهم، وقد يُساهمون في الحفاظ على المجتمع الأوروبي ورقيه، وعلى المسلمين التخلي عن فكرة الشعور بالدونية، والفهم المؤدلج للإسلام، ونبذ العنف واعتبار أوروبا بلدهم ووطنهم .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خاتمة:

وخلصنا في دراستنا إلى أن الإسلام في الأوروبي له مشهد اجتماعي وثقافي وسياسي ؛ لأن أوروبا فضاءً علمانيا وديمقراطيا، بحيث يمكن للمسلم أن يكون مؤمنا ومواطنا في الآن نفسه.

ونلفي شريحة كبرى في أوروبا من المسلمين، يُثمنون أوضاعهم بوصفهم مواطنين أوروبيين يدعون إلى التعايش بين شتى الطوائف والديانات والحضارات، ويبقى الدور للمجتمعات الأوروبية لفهمهم وقبولهم.

وهناك أنتلجنسيا تسترشد بالتاريخ ومرجعياته، لهم وعي بمبادئهم، لا يخلطون بين المبادئ والنماذج، فيكون إسلامهم مقبولا بالنسبة إلى مبادئ الدين، ويكونون في الوقت نفسه أوروبيين بالتمام نسبة إلى ثقافتهم الغربية. وهؤلاء أمثال الدكتور مالك شبل وطارق رمضان ويوسف صديق وروجي غارودي وجيفري لانغ وديتريش فون دنفر ومراد ألفريد هوفمان وغيرهم كثير.

لكن في الوقت نفسه نجد شريحة من المسلمين في أوروبا تُسيئ إلى الإسلام، تفاعلهم سلبي مُعادين لأوروبا ويرفضونها، يجتمعون في شكل طوائف وقيتوهات، وجودهم اعتباطي بلا هدف؛ لا يتجاوز الجانب المادي أو الحصول على الجنسية؛ وهذا ناهيك عن احتيالهم وتعصبهم وتطرفهم، ومنهم من ينتمي إلى الإسلام عرقيا ليس إلا، والسبب اعتقادهم أن أوروبا مجرد محتل قديم، نكّل بأسلافهم وشيد حضارته على أكتافهم ونهب ثرواتهم وطمس هويتهم .

أما الاتجاه القائل إن الإسلام وحدة لا تتجزأ ولا يوجد هناك إسلام في أوروبا مقابل لإسلام محلي أو تقليدي هو مجرد توهم، لأن الإسلام لطالما انتشر في القارات وتفاعل مع ثقافاتها وعادات شعوبها، ما دامت متناغمة مع مبادئه ومخلصة لتعاليمه، من هنا ندرك إسلاما إفريقيا وإسلاما آسيويا وإسلاما أمريكيا.

قائمة المراجع:

1-أوليفييه روا، 2011 .نحو إسلام أوروبي، ط1 . القاهرة: دار المعارف الحكمية.

2- ـ،2012، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة، ط1. بيروت: دار الساقي.

3- ـ، 2016، عولمة الإسلام، ط2. بيروت: دار الساقي.

4 – جيفري لانج، 2008، ضياع ديني: صرخة المسلمين في الغرب، ط5. دمشق: دار الفكر.

5- عودة عبد القادر، 1985، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ط5، الكويت: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

6- طيبي محمد، 2008 .الإسلام الأوروبي: إشكاليات مفاهيمية، مركز المسبار، الإمارات العربية المتحدة، رقم ISBN: 978-9948-03-671-5 ، العدد 16، من ص 51 إلى ص 83.

7- طارق رمضان ، 2016 .الإسلام الدين الثاني في أروربا، ط2 .القاهرة: المركز القومي للترجمة.

1- conférence3.Ramadan tariq, Mon intime conviction, 2011. edition Archipoche.

2- quelle laïcité pour le monde musulman. Ramadan tariq. 2015. Alger.Mitidja impression.

3- Islam la réforme radicale : Ethique et libération, Ramadan tariq, 2015, paris dition Archipoche.